- ٥ -

عندما أقبل المنادون يصيحون في شوارع (المدائن) بأنّه ليس على أحد أن يلجأ إلى الطبّ في الأيام القادمة كيلا يُلتمس من «السماء» شفاءً غيرُ ما يشفي ملك الملوك ولا تتفرّق «الرحمة»، فُهِمَ أنّ «شاهبور» كان في طور الاحتضار.

وفي اليوم التالي أُعلن الحِداد. مَهيباً وقوراً، ولكن بلا دموع ولا نُواح ولا حُزن بادٍ. فبكاء ميّت معناه حسب «الأفستا» الشكّ في «الخلاص»، وإنّه لتعبير سوقيّ عن عدم الإيمان. بل لقد فرض الأتقياء على أنفسهم إعلان فرحتهم لأن العاهل، بوصفه كائناً إلهيّاً، سيحظى في «الآخرة» بأكثر ممّا حظي به في الدنيا من امتيازات. وكان العاهل لا يزال مسجّى قريباً جدّاً من العرش في دخْنة كثيفة من العَرْعَر الذي يُقال إنه لَطِيفٌ على مناخِر الأموات. ولسوف يُقاد قبل المساء إلى قمّة بُرجٍ من الآجرّ ويُقدَّم إلى الكواسر، إذ لا ينبغي قطّ أن تُدَنَّس التربةُ بجسم متحلِّل. وعندما تغدو عظام المرحوم سيّد «الإمبراطورية» معروقة مُبْيَضَّة فسوف يضعها الكهنة في الحُقّ الذي يقوم مقام النعش.

وقبل أن يغادر العاهل قصره للمرة الأخيرة اجتمع ثلاثة رجال في حجرة مُحاذية لقاعة العرش. وكانوا يمثّلون الطبقات الثلاث المهتمّة بشؤون «الدولة» الكهنةَ والمحاربين والكَتَبَةَ. وكان العاهل قد أعطى إلى كل منهم بيده كتاباً